الرفق بالحيوان في الفكر الإسلامي

معالجات فطرية تحافظ على أممية المخلوقات والتكامل الجوهري فيما بينها

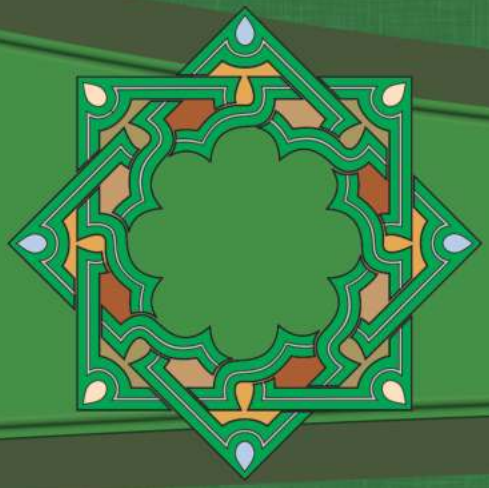

تأليف

وحدة الإعلام الدولي المقروء

حسن الهاشمي

الرفق بالحيوان في الفكر الإسلامي

معالجات فطرية تحافظ على أممية المخلوقات والتكامل الجوهري فيما بينها

بقلم : حسن الهاشمي

جهة الإصدار :

العتبة العباسية المقدسة / قسم الإعلام – مركز الكفيل الدولي للثقافة والإعلام

التأليف :

وحدة الإعلام الدولي المقروء / (حسن الهاشمي)

المراجعة الفكرية واللغوية :

الشيخ قيصر الربيعي

الإخراج والتصميم :

(علي الخفاجي)

المطبعة :

دار الكفيل للطباعة والنشر (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م)

فهرست المحتويات

المقدمة ٥

الرفق في اللغة والسُنّة المطهّرة ٨

الاسلام وأممية المخلوقات ١٢

شواهد حية على الرفق بالحيوان ١٨

الرفق مع الاقتدار منقبة ٢٣

آداب الذبح في الإسلام ٢٦

وشروط الذباحة : ٢٧

مقررات الرفق بالحيوان في الاسلام ٣٢

أثر العلاقات النفسية بين حقوق الحيوان وحقوق الانسان ٣٩

الرحمة بالحيوان بين الإسلام وأدعياء الحضارة ٤٣

مكتسبات حقوق الحيوان وانعكاسها على العلاقات الاجتماعية ٥١

توصيات بشأن تعزيز دور حقوق الحيوان ٥٤

الخاتمة ٥٧

المصادر ٥٩

المقدمة

لقد ضرب الاسلام أروع الأمثلة في الرفق بالحيوان، ذلك المخلوق الذي له حق الحياة مثلما تتمتع سائر المخلوقات بهذا الحق الذي وهبه الله تعالى للمخلوقات جميعا لكي تتكامل فيما بينها، ولكي يؤدي كل منها دوره المنوط به في هذه الحياة الدنيا، ومعالجة الاسلام لهذه المفردة تختلف جوهريا عن معالجة سائر الأنظمة الدنيوية لها، إذ أن الاسلام أوصى بضرورة حفظ حقوق الحيوانات في العيش الآمن المستقر لتقديم خدماتها الجليلة للإنسان خاصة في الغذاء والتنقل واللباس والزينة، ولكي تكون الخدمة في أوجها أوصى بعدم ايذائها أو استصغارها أو التهاون معها، وبشر الذين يعاملونها بلطف بالرحمة والرضوان، وأنذر الذين يعاملونها بعنف بالنقمة والنيران، بخلاف سائر الأنظمة الوضعية التي ربما تلتجأ إلى المبالغة في العناية أو المبالغة في الايذاء لدوافع مادية أو لدوافع ترفيهية ولربما لدوافع انسانية ولكنها لا ترتقي بأي شكل من الأشكال الى المعالجة الاسلامية التي فيها من النوازع الذاتية والعقدية ما تحافظ على الحقوق دونما غمط أو تقصير أو اهمال.

وهكذا ندرك أن الإسلام لا ينظر إلى الحيوان نظرة دونية، بل ينظر اليه نظرة واقعية دون افراط أو تفريط كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1]. فالإسلام يلفت انتباه البشرية إلى حقيقة مهمة، هي أن الحيوان والطير والحشرات

(١) الأنعام: ٣٨.

تنتظم كلاًّ منها على شكل أممٌ كأمم الإنسان، أمم لها سماتها وخصائصها وتنظيماتها، وإذا كانت بعض الآيات في القرآن الكريم تحمل تحقيرا (ظاهريا) لبعض الحيوانات، من مثل قوله تعالى عن ذلك الصنف من البشر الذي يتخلى عن نعمة الهداية بعد أن يسبغها الله عليه : ﴿...فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]. أو في معرض ذمه لليهود الذين لم يعملوا بما في كتبهم : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

وإنما جاء تشبيه اليهود والمشركين بالحيوانات (كالكلب والحمار)؛ لأنهم لم يقوموا بالدور المنوط بهم، فأصبحوا كالأنعام ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤] وليس في هذا ذمٌّ للحيوانات، ولكنه ذم لمن عاش أدوار الحيوانات، ولم يعِشْ دوره هو!! ومن الأمور التي تستحق الالتفات - ونحن نتعرف على عناية الإسلام بالحيوان - تلك الكيفية التي نظم الله بها علاقة الإنسان بذلك الحيوان، فإذا كان الله ـ تعالى - قد سخَّره لمنفعة الإنسان وخدمته على نحو فطري وغريزي، فإنه -سبحانه- أيضًا قد رسم للإنسان حدود العلاقة به والتعامل معه.. فبيْن المغالاة التي ترفع الحيوانَ فوق قدْره الطبيعي، وتصل به إلى مخدوم من قِبَل الإنسان (بل معبود في أحيان أخرى!!).. وبيْن إيذاء الحيوان وتحميله فوق طاقته، فضلاً عن تشويهه والعبث به!! بين هذين المنهجين المتباعدين يخطُّ الإسلام طريقا وسطًا -كشأنه في كل الأمور-؛ فهو يُعلِّم المسلم أن الحيوان مسخَّر له فضلاً من ربه، يستعين به على مقتضيات المعاش وعمارة الأرض.

ثم ان الاسلام -إلى جانب ذلك- يلفت نظر الانسان إلى أن رحمته بالحيوان والرفق به عبادة وقربى، يتوسل

(٢) الأعراف : ١٧٦.

(٣) الجمعة : ٥.

(٤) الفرقان : ٤٤.

بها العبد إلى رضا ربه الرحيم، كما أن تعذيب الحيوان وحرمانه حقه وترويعه وإجهاده في العمل.. كل هذه وغيرها من نواقض الرحمة، بل هي تستوجب عقاب صاحبها في الآخرة!! وهكذا يتفرد التشريع الإسلامي في رعاية حقوق الحيوان بربط هذه الرعاية بالله وبحساب الآخرة، ثوابًا كان أو عقابًا.

انظر الى رأفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحيوان حينما دخل حائطاً لبعض الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذرفت عيناه، فمسح النبي الأكرم سنامه، فسكن ثم قال : من رب هذا الجمل؟! فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه يشكو إليَّ أنك تجيعه وتذيبه[٥].

يا له من درس أخلاقي عظيم يقدمه الرسول الأعظم للإنسانية، انه يوبخ الصحابي ويدعوه الى مخافة الله تعالى في تعامله مع الحيوان، والسبب في ذلك يكمن في ان الصحابي ترك حقا من حقوقها في تجويعها واهمالها واضعافها بالرغم من أنها تقدم الخدمات الجليلة له ولسائر العباد! ومن هذا المنطلق ارتأينا ان نتناول في هذا البحث موضوعة حقوق الحيوان في الإسلام لنعرضها للعيان تبيانا للفرق بين ما جاء به من تعاليم جوهرية تكاملية بعيدا عن العلاقة العاطفية التي يتستر بها البعض أو العلاقة التعسفية التي فيها خروج عن النسق الطبيعي، وانما العلاقة الطبيعية التي ينبغي أن تسود فيما بين المخلوقات للوصول الى التكامل الجوهري فيما بينها.

(٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٦١ ص٣٩٥.

الرفـق فـي اللـغة والسُنّة المطهّرة

في بـاب رفـق انتقينـا مـن قامـوس المعجـم الوسـيط أكثـر معنيـين شـيوعا وهمـا، الأول : رفـق الشـخص أي صـار صديقـا لغـيره مصاحبـا لـه، فالجـار قبـل الـدار والرفيـق قبـل الطريـق كقولـه تعـالى : ﴿وَحَسُـنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًـا﴾[٦].

والثـاني : رفـق بفـلان ورفـق عـلى فـلان ورفـق لفـلان، أي لطـف بـه وألان جانبـه لـه وأحسـن صنيعـه وعاملـه بلطافـة وليونـة كقـول الرسـول الأعظـم : (رفقـا بالقواريـر)[٧] أي رحمـة ولطفـا بالنسـاء.

الرفـق الـذي يتضمـن : السـماحة واللطـف والانفتـاح والتواضـع وتكليـم النـاس عـلى قـدر عقولهـم والتجـاوز عـن سيئاتهم والترفـع مـن متابعـة هفواتهـم، رفقـاً يتجـلى فيـه اللـين وتمحـى مـن سـاحته الغلظـة، فـلا خشـونة عنـد التعامـل ولا جفـوة بعـد التخاصـم، ولا طغيـان عنـد البغـي، هكـذا يريدنـا رسـول الله (ﷺ) في أبعادنـا العلميـة والايمانيـة والاخلاقيـة، وهكـذا كان هـو عليـه الصـلاة والسـلام مجسـداً لأخـلاق القـرآن، وسـنته العمليـة هـي التعبـير الادق لـكلِّ ذلـك الخُلـق النبـوي العظيـم، ولأجـل هـذه الحقيقـة الناصعـة والمحجـة البيضـاء عرّفـه ربـه سـبحانه وتعـالى بقولـه : ﴿وَإِنَّـكَ لَعَـلَى خُلُـقٍ عَظِيـمٍ﴾[٨].

(٦) النساء، ٦٩.

(٧) النهاية لابن الأثير، ٤ : ٣٩.

(٨) القلم، ٤.

وجاء في كثير من الأحاديث الشريفة الحث على الرفق والدعوة إليه وبيان أهميته وتحديد أبعاده وتشخيص ثمراته، ولا بأس بالوقوف على ضفاف شواطئ تلك الاحاديث؛ لنغترف من عذب مائها الرقراق في زمن الظمأ؛ حيثُ الافكار المادية العكرة وما نصبته لهذا الإنسان من كؤوس مرة المذاق لا تروي الغُلّة ولا تشفي العِلّة، النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يمدح الرفق بقوله : (الرفق يُمنٌ والخُرق شؤمٌ)[٩] الرفق يمن وبركة لما فيه من شدّ أزر الناس بعضهم إلى البعض الآخر من خلال ما يزرعه في نفوسهم من المحبة والصفاء، حتى يعودوا مباركين في تصرفاتهم، فيعمّ اليمن ساحتهم وتتغشاهم بركات السماء.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إنَّ الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه، ولا نُزع من شيء إلاّ شانه)[١٠] وهذا الحديث يحكي جمالية الرفق في أنه لبوس حسن، يزين مرتديه، فمن تخلّق بالرفق فإنّ الرفق سيزينه ويزيده جمالاً ووقاراً وهيبة، فلا يلتفت الآخرون إلى ما هو عليه من عيوب ونقاط ضعف لا ينجو منها عادة إلاّ الكُمّل من الناس، وعلى العكس من ذلك فلو أن إنساناً يستجمع من المزايا الحميدة الشيء الكثير غير أنّه لا يتخلق بالرفق في تصرفاته، فإنّ مثل هذا الإنسان سرعان ما ينفر الناس منه لما للرفق من دورٍ مهم في الكشف عن الاخلاق العملية التي يتفاعل معها الآخرون.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (التودد إلى الناس نصف العقل والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد)[١١] وبهذا التشخيص الدقيق في بعده الاجتماعي تتوضح أهمية الانفتاح على الآخرين، ومداراة عقولهم، والانسجام معهم من خلال الرفق بهم دون الغلظة عليهم، ويعتبر ذلك الرفق معادلاً لنصف الجهد الذي يبذله الإنسان في دائرة عمله الاقتصادي بين أفراد المجتمع، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا يعطي أهمية فائقة للأخلاق في المجال

(٩) الكافي للكليني ٢ : ١١٩ / ٤ باب الرفق. إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٥. والخُرق : الجهل والحُمق.
(١٠) الكافي ٢ : ١١٩ / ٦ باب الرفق.
(١١) بحار الأنوار ٧١ : ٢٤٩.

الاجتماعي والاقتصادي اللذين لا ينفكان عن تلازمهما في تسيير عجلة الحياة المعاشية للفرد والأُمة، ولأجل هذه الحقيقة الحيوية جاء الرسول الأكرم في الفقرة الاَخيرة وما عال امرؤ في اقتصاد.

وقال رسول الله (ﷺ) : (الرفق رأس الحكمة، اللّهم من وليَ شيئاً من أمور أُمتي فرفق بهم، فارفق به، ومن شقق عليهم فاشقق عليه)[١٢] الحكمة كما لا يخفى هي وضع الشيء في محله، ولما كان الرفق هو من محامد الصفات التي يتصف بها الخالق المتعال وأنبياءه الكرام وذوي الحجى والالباب، وبه يعالجون سقم الناس، فهو الدواء المحكمة مراهمه، والبلسم الناجح شفاؤه، ينفع مع الفرد في تطبيبه وتهذيبه، ومع الأُمّة في تدبير أمرها وسَوْسها، فالنبي الأعظم بعد أن يعرّف الرفق بأنه رأس الحكمة، يتوجه إلى ربه بالدعاء بالرفق لمن يرفق بمن وُليَّ عليه، وبالمشقة على من يشق عليهم، ولا شك أن دعوة المصطفى حبيب الله هي دعوة مستجابة حتماً، وهي في الوقت نفسه كشف عن قانون وإرادة سماوية في المكافأة والمجازاة على الأفعال، فالصحبة في الله عمل ممدوح، باركه الإسلام كثيراً وحثّ عليه، وبشّر أهله بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة، لكن بين المتصاحبين في الله تفاضل، فأحدهما أرفع منزلةً وأعظم أجراً من أخيه، فبأيّ مزيّة نال هذا التفضيل؟! رسول الله (ﷺ) يكشف لنا عن سرِّ هذه المفاضلة، فيقول : (ما اصطحب اثنان إلاّ كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله عزَّ وجل : أرفقهما بصاحبه)[١٣] الرفق إذن هو الذي رفع أحد الصاحبين على أخيه درجةً وشرّفه بمنزلة من حبّ الله أعلى.

(١٢) بحار الانوار ٧٥ : ٣٥٢.

(١٣) الكافي ٢ : ١٢٠ / ١٥ باب الرفق.

إنّ الله تعالى ليجازي عباده على مكارم الاخلاق في الدنيا فيريهم ثمراتها، كما يدّخر لهم ليوم لقائه ما هو أنمى وأبقى، فما الذي يراه المتحلّي بالرفق في دنياه؟ قال (ﷺ) : (إنّ في الرفق الزيادة والبركة، ومن يُحرم الرفق يُحرم الخير)[١٤].

وقال (ﷺ) : (من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من خير الدنيا والآخرة)[١٥] وفي هذا الحديث إخبارٌ عن الصادق الامين بأن من يرزق الرفق يرزق الخير كله، وهذا يعني أن الذي يزداد رفقاً، يزداد من خير الدنيا والآخرة، وعلى العكس سيكون حال الآخر الذي حُرم حظّه من العقل والوقار، وصرعته الأنا، فاستبدل أناةً بالحُمق، وجهلاً بالحلم، فزرع لدنياه وآخرته ما يسوءه حصاده، وتُطيل ندامته عقباه.

وبطبيعة الحال ان الرفق بما هو صفة محبذة بحد ذاتها لما لها الأثر البالغ في تزيين الأشياء، وعلى العكس من ذلك فان الخرق صفة مذمومة بحد ذاتها لما لها الأثر في تشويه كل حالة تتلبس بها، وهكذا فان الرفق لا يختص بالإنسان لكي يعطي ثماره بل يشمل كل المخلوقات من ضمنها الحيوانات والنباتات والحشرات، فان التعامل الأمثل مع هذه المخلوقات يجلب على الانسان الخير والبركة، وهو بحق رأس الحكمة لما له من وضع الأمور في نصابها الصحيح وما ينتج منها من حلول راجحة، ولما يمر الانسان بمشاكل وعقبات يخرج منها بأقل الخسائر وأسعد الأوقات، وهو مسعى كل ذي لب يرغب بإقامة علاقات سليمة بما حوله من مخلوقات جديرة بأن تعيش سعيدة في دورة حياتها التكاملية.

(١٤) الكافي ٢ : ١١٩ / ٧ باب الرفق.
(١٥) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٩.

الاسلام وأممية المخلوقات

حقوق الحيوان أو الرفق به أو معاملته بالحسنى واللين والتعاطف، هذا ما حرّض عليه الاسلام، بل شجّع اتباعه على هذا التعامل الراقي مع خلق عظيم من مخلوقات الله تعالى بتنوعه وغريب طباعه وما يقدمه للبشر من خدمة فائقة في التغذية والسفر والتسلية وسائر الخدمات التي لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، فالحضارة الإسلامية كانت أكثر حضارات العالم إنسانية، ولها السبق في الرفق بالحيوان ليس باعتبارها ممارسة اجتماعية من قبيل التقليد والعرف الاجتماعي، ولكن باعتبارها تعبدا لله وطاعة بما أمر واجتنابا لما نهى، وباعتبارها خصلة حميدة تنبأ بها للإسلام من قيم ورحمة تشمل جميع المخلوقات التي من حقها أن تعيش ضمن هذا الكون الفسيح دون الاضرار بأي شريحة منها ما دامت لا تشكل خطرا على الشرائح الأخرى.

فالرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها في مروج الرحمة الإلهية، والقسوة عليه قد تدخله في لهيب النقمة الإلهية، وحينما كانت أممٌ تلهو بتعذيب الحيوانات وقتلها، حيث لا ترى أنَّ للحيوان نصيبا منَ الرِّفق، أو حظًّا من الرحمة، كان الإسلام بتشريعاته وأحكامه يرفق بالحيوان الذي له خصائصه وطبائعُه وشعوره، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[١٦] أي أمثالكم في كونها دالة على

(١٦) الأنعام: ٣٨.

الصانع ومسبحة له قال تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أي يسبح بلسان القال أو الحال حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وتنزيهه عما لا يجوز عليه فبالنظر إلى هذا المعنى لا يجوز التعرض لها بالقتل والافناء ولكن إذا كان لدفع مضرة كقتل الفواسق الخمس أو جلب منفعة كذبح الحيوانات المأكولة جاز ذلك(١٧).

مثلما البشر بجميع مشاربهم وتوجهاتهم لهم الحق في العيش الكريم المفعم بالحرية والكرامة وحسن الاختيار كذلك الحيوان فانه تابع الى امم الحيوانات المختلفة التي لها حق الحياة لتؤدي دورها التكاملي في نفسها وفي غيرها بما تقدمه من منافع جمة لا تعد ولا تحصى، فللحيوان حقُّ الرِّفق والرَّحمة كحقِّ الإنْسَان في الرفق والرحمة، لا فرق في ذلك من ناحية خلق الله تعالى التي تتوزع عليهم الرحمة بما انهم أمم كلها خاضعة لملكوت الله، وكلها تدل على عظمة الخالق في تنوع مخلوقاته في اللون والشكل والمنفعة، وكلها تستمد عظمتها من رحمته ولطفه بما خلق وأبدع ووهب وأعطى.

مثلما تتسع دوائر الماء إذا أسقطت عليه حجراً، كذلك دوائر الرحمة في الاسلام تتسع وتتسع لتشمل الانسانية برمّتها وتتعداها الى سائر المخلوقات، فمن الرحمة بالوالدين، إلى الرحمة بالأقرباء والجيران، إلى الرحمة بالأصدقاء والإخوان، إلى الرحمة بالناس أجمعين، إلى الرحمة بالحيوان، الى الرحمة بالنبات، الى الرحمة بالمخلوقات الأخرى والمجرات والمحيطات والبراري والبيئات وكل ما يضمن سلامة ما خلق الله؛ لكي يؤدي دوره بصورة صحيحة وصادقة في جمال الطبيعة واسعاد الخلق والتواصل بين المخلوقات بهدف التكامل الذي هو مسعى الأديان وهدف أصحاب النهى وثقل الميزان.

(١٧) تحفة الأحوذي - المباركفوري - ج ٥ - ص ٥٦.

هـذا الكائـن الجميـل في تعـدّد مناظـره وأشـكاله وألوانـه وحجومـه وأغراضـه، ومـا يعـبّر عنـه مـن دروس وعـبر للإنسـان، ومـا فيـه مـن راحـة وسـعادة وغـذاء ومـا يوفـر للإنسـان مـن سـبل البهجـة والوفـاء والمظهـر اللائـق والاسـتقواء عـلى مكابـدة الحيـاة، حـري بالإنسـان ان يـرد هـذه المزايـا والعطايـا بالرفـق بهـذه المخلوقـات التـي سـخرها الله تعـالى لكـي تضفـي تلـك المسـحة الجماليـة للكـون، ولكـي يتمتـع الجميـع بتلـك المسـحة ومـن ضمنهـا الانسـان الـذي هـو يحاسـب عـلى تصرفاتـه خاصـة ـ سـلبا أو ايجابـا ـ لمـا يحمـل بـين جنباتـه جوهـرة العقـل الفريـدة التـي تميـزه عـن سـائر مـا خلـق.

فالإسـلام لا يرتـضي لـك أن تجيـع الحيـوان أو تعطشـه، ولا أن تثقـل كاهلـه فـوق مـا يطيـق، ولا أن تضربـه ضربـاً مبرّحـاً، وأن تتيـح لـه المجـال في أن تسـتريح مـن تعـب وعنـاء النهـار فـلا تجـور عليـه بالعمـل ليـلاً ونهـاراً.

فمـن خـلال الروايـات يتجـلّى واضحـاً أنّ الإسـلام يدعـو إلى اللاعنـف واللـين حتّـى مـع الحيوانـات، ففـي الحديـث عـن رسـول الله (ﷺ) قـال : (للدابّـة عـلى صاحبهـا خصـال، يبـدأ بعلفهـا إذا نـزل، ويعـرض عليهـا المـاء إذا مـرّ بـه، ولا يـضرب وجههـا فإنّهـا تسـبّح بحمـد ربّهـا.. ولا يحمّلهـا فـوق طاقتهـا ولا يكلّفهـا مـن المشي إلاّ مـا تطيـق) [١٨].

وقال رسول الله (ﷺ) : (لا تتورّكوا على الدواب ولا تتّخذوا ظهورها مجالس)[١٩].

وقـال (ﷺ) : (إنّ الله يحـبّ الرفـق ويعـين عليـه، فـإذا ركبتـم الـدواب العجـف فأنزلوهـا منازلهـا، فـإن كانـت الأرض مجدبـة فأنجـوا عنهـا، وإن كانـت مخصبـة فأنزلوها منازلها)[٢٠].

(١٨) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق : ج٢ ص٢٨٦ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٦٥.
(١٩) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٢٨٧ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٧١.
(٢٠) الكافي : ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٢.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انّه أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال : (أين صاحبها؟ مروه فليستعد غداً للخصومة)[٢١].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا تسبّوا الديك فانّه يوقظ للصلاة)[٢٢].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[٢٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدواب : (لا تضربوا الوجوه، ولا تلعنوها، فانّ الله عز وجل لعن لاعنها)[٢٤].

كما لم يرتضِ الاسلام حبس الحيوان وسجن الطير، وشهيرةٌ هي قصة المرأة عذّبت في النار لأنّها أذت قطة، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : (إن امرأة عذّبت في هرّة ربطتها حتى ماتت عطشاً)[٢٥] فلم يجز الاسلام تعذيب الحيوان أو التمثيل به، فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا تجوز المُثلةُ ولو بالكلب العقور)[٢٦].

قد يستغرب القارئ الكريم أن نخوض في هكذا موضوع ولكن لتعريف العالم بحقيقة الإسلام المحمدي الأصيل تلك الحقيقة الناصعة والمشرقة التي حاول ويحاول البعض أن يشوهها أو على الاقل أن يظهرها بصورة مشوهة او قاتمة السواد.

---

(٢١) بحار الأنوار : ج٦١ ص٢٠٣ ب٨ ح٥.
(٢٢) بحار الأنوار : ج٦٢ ص٩ ب٢ ح١٣.
(٢٣) مستدرك الوسائل للمحدث النوري : ج٨ ص٣٠٣ ب٤٤ ح٩٥٠٥.
(٢٤) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٢٨٧ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٦٩.
(٢٥) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٢٧٨.
(٢٦) جواهر الكلام للشيخ الجواهري، ج٢١ ص٧٨.

وحقوق الحيوان إن تأملنا فيها نجدها مطلبا لا يتحقق إلا بعد أن يتكامل المجتمع في أسسه العقائدية والفكرية والثقافية والاقتصادية و... بعد ذلك تجد حقوق الحيوان جلية وواضحة ومفهومة ومتُقبلة لدى الناس، وكيف لا يتقبلها الناس ويعملوا بها ما دامت حقوقهم كبشر مضمونة ومحترمة.

أشار النبي (ﷺ) في مواضع كثيرة الى مبدأ حقوق الحيوان كما نسميه اليوم وهذا ديدن المصلحين وحاملي الرسالات السماوية في تطبيق الحقوق بكل مفاصلها من الإنسان الى الحيوان والنبات... ففي الأحاديث الشريفة إشارة واضحة الى مدى احترام الإسلام لكل المخلوقات ففي الحديث النبوي الشريف : (قال رسول الله (ﷺ) : من قتل عصفوراً عبثاً بعث الله به يوم القيامة وله صراخ، يقول يا رب سل هذا فبم قتلني بغير ذبح؟! فليحذر أحدكم من المثلة، وليحد شفرته، ولا يعذب البهيمة)[٢٧] تلاحظ مدى دقة المصطلحات المستخدمة في بيان حق الحيوان في الحياة وكيف يحترم الإسلام حق الحياة حتى لأصغر المخلوقات.

إنّ دعوة الاسلام للرفق والرحمة بالحيوان هي من باب أولى دعوة لاحترام الانسان والرحمة به، فإذا كان الاسلام رحيماً بالكائن الذي لا ينطق ولا يعقل ولا يمتلك أحاسيس الانسان ومشاعره ولا كرامته وموقعه، فما بالك بأكرم الخلق وأفضل الكائنات، فهو أولى بالرفق والرحمة والشفقة! فالرفق اذا استشرى بالأمة فيكون لها طريقا مهيعا يوصل الى مروج الرحمة مسرعا، فالضمير الذي ينكسر ويرق على حيوان لا عقل له هو الى الانكسار على الإنسان المحتاج أحوج وأعظم، وهكذا أقر الاسلام الرفق بالحيوان كانطلاقة في رحاب الرفق بالمخلوقات الأخرى لتنتظم الحياة وتستقر ويقوى بناؤها ويصلب عودها ويستقيم أمرها، ولا غرابة في تعدد الوصف بالنسبة الى ادوات الرفق فتارة يوصي بعدم الضرب وأخرى بعدم المكوث الطويل عليها وثالثة بعرضها الى الأكل والشرب اذا ما احتاجت اليه لاسيما بعد العناء والتعب، فالتوصيات هذه

(٢٧) دعائم الاسلام للقاضي النعمان ج٢ ص١٧٥ ح٦٢٩.

تنبأ بان الاسلام يضع يديه على أمور ربما تختفي عن صاحبها بقصد أو بدونه، وهي مهمة لاستدرار الرقة والرحمة في الاوساط التي باستطاعتها ان تغير النفوس وتجعلها ملتهبة في فضاءات الرحمة والشفقة بأبهى صورها واتم مصاديقها.

من المؤسف له حقا ان تضيع الحقائق ونحن في عصر وصول المعلومة بسهولة، ومن تلك الحقائق ان الاسلام قبل قرون وضع قوانين لحقوق الحيوانات في وقت ليس فيه هذه الاهمية حتى لحقوق الانسان التي نظر لها بصورة جادة في العصر الحديث، وبهذا يكون الاسلام قد سبق الحضارة في هذا القانون بزمن بعيد، وأشبع هذا العنوان بحثا ومراعاة وعطفا.

ولكن الذي نراه في عصرنا الحاضر وفي العالم المتحضر هو مدعاة للأسف والاحباط، اقرأوا ما يفعله الطواغيت بالناس وبالمؤمنين وبالأحرار وبالصالحين لتعرفوا أنّ الحيوان اليوم أسعد حظّاً من الانسان، فبعض الدول ترعى الكلاب والقطط وتدافع عن حقوقها، ولا تقيم لمجزرة بشرية وزناً! وهذا يدعم ما ذهبنا اليه من ان الذين يدعون الرفق بالحيوان هم ابعد ما يكونون عن هذه الخصلة الرائدة التي تنبثق من الموازين الشرعية والعادات السليمة النابعة من الفطرة السليمة، التي تجعل منها كتلة ملتهبة من الرحمة لتشمل كل المخلوقات بغض النظر عن الدوافع السياسية والمصالح الضيقة، أما الذي نراه في عالمنا المتحضر فهو بطبيعة الحال في قمة النفاق والتنصل عن تحمل المسؤولية التي تحتم على مدعيها الاستغراق في الرحمة لمخلوقات الله وعدم الكيل بمكيالين في التصرف الملائكي مع الحيوان الذي لا عقل له، والتصرف الوحشي مع الانسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وسخر الموجودات لخدمته، يا لها من مفارقة مضحكة مبكية تلك التي تسخر الرفق بالحيوان للتستر على انتهاك حقوق الانسان لدوافع باتت معروفة للقاصي والداني؟!.

شواهد حية على الرفق بالحيوان

وقد أكّد الاسلام على الرفق بالحيوان، وعدّ ذلك من أبواب الرحمة والمغفرة، ولنر مدى اهتمام قادة الاسلام وهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته(عليهم السلام) في التعامل الأمثل مع الحيوان بما يلي : فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثمّ خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغني، نزل البئر فملأ خفّه ثمّ أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله عزّ وجلّ له، فَغُفِرَ له. فقيل : يا رسول الله! إن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (في كل ذات كبد رطبة أجر)[٢٨] وهكذا غُفِر للرجل وحصل على رحمة الله لرفقه بالكلب وسقايته له، وهكذا يقرر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن في سقاية كل مخلوق ذي كبد أجراً.

وروى محمد بن عمر الأسلمي في مغازيه : لما سار رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في فتح مكة رأى كلبة تهرّ على أولادها وهن حولها يرضعنها، فأمر رجلا من أصحابه يقال له جعيل بن سراقة أن يقوم حذاءها، لا يعرض أحد من الجيش لها، ولا لأولادها [٢٩].

تأمل الموقف قائد مع جيشه وهو يسلك طريقا غير الطريق المعتاد وامامه حرب ورغم هذا الموقف لا يغفل عن كلبة ويضع لها من يحامي عنها وينبه الجند ان لا يزعجوها وابنائها.

---

(٢٨) السنن الكبرى للبيهقي، ج٤ ص١٨٦.

(٢٩) امتاع الاسماع للمقريزي، ج٢ ص٢٢٥.

وفي حديث آخر ترى إن الإسلام ينظر الى كل الجوانب في حياة الحيوان حتى حرية الحركة لدى الإنسان عندما يرى رسول الله (ﷺ) راحلة مقيدة وبدون طعام فيبادر بكلامه الرائع وينظم حقا لمخلوق من مخلوقات الله (أين صاحب هذه الراحلة، ألا تتقي الله فيها، إما أن تعلفها، وإما أن ترسلها حتى تبتغي لنفسها)[٣٠].

انظر الى رسول الانسانية فهو يجمع بين الاضداد، فإذا سألت عن الاقتصاد في الأعمال وجدت الرسول الكريم على رأس المقتصدين، مع أنه على رأس المتقين، على أنه كثير الاعتكاف، وكان أبر الناس بأهله وولده والمسلمين، شديد الورع، يأمر في الغزو بتقوى الله، ويأمر بحسن معاملة الخدم وإحسان معاملتهم، وكان شديد الرفق بالحيوان، شديدا في تحري ما يأكله هو أو يأكله أهله، يحب الاجتماع في السفر وإعانة الرفيق فيه، وكان شديد الحث على الصدقة وشديد القيام بها، وكان أشد الناس بغضا للمدح، وتواضعا لله، ويكره أن يجابه أحدا، ويكره الخبث حتى لفظه! هذه أمثلة من سيرة محمد ونفحة من فيض كريم خلقه، سيرة هي النبراس والمثل الأعلى لمن عاش للحق ومات في سبيل الحق، سيرة تدر على المسلمين التعاليم الإسلامية الكريمة التي يؤمنون بها فتسموا بأرواحهم وتسمو بنفوسهم وتقويهم! سيرة نبيلة جعلت محمدا ملء العيون والقلوب، وجعلته من عظيم خلقه أحب إلى المسلمين من أموالهم وأولادهم ونفوسهم! هذه سيرة محمد باذل روحه ونفسه لإسعاد البشر[٣١].

ونرى صورة مشرقة أخرى تمثل أعلى مراتب الرحمة الإنسانية عندما يأمر الامام علي (عليه السلام) ابنته أم كلثوم أن تطلق إوزا كان قد أُهدي الى الحسن بن علي(عليهما السلام) فتروي ام كلثوم في حديث وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلة : ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز قد أُهديَ إلى أخي الحسن (عليه السلام) فلما نزل خرجن وراءه

(٣٠) مجمع الزوائد للهيثمي ج٨ ص١٩٦.
(٣١) الثقافة الروحية في إنجيل برنابا – محمود علي قراعة – ص ٢٥٥.

وصحن في وجهه وكنّ قبل تلك الليلة لم يصحن، ثم قال : (يا بنية بحقي عليك إلاّ ما اطلقتيه فقد حبستِ ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش، فأطعميه واسقيه، وإلاّ خلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض) [٣٢].

وتشير كتب التاريخ الى أن الإمام علي بن ابي طالب أول من انشأ مربضا(مكان معيشة الحيوان) للحيوانات الضالة في فترة خلافته في الكوفة، وأمر أن يصرف عليها من بيت المال الى أن يأتي صاحبها، وجمعت في وقتها حيوانات كُثر.

ولقد جسّدَ المسلمون من أهل اليمن ـ وربّما كان هناك غيرهم ـ أخلاق الاسلام في الرحمة بالحيوان والرفق به في أحد أسواق صنعاء المعروفة بـ (سوق العرج) حيث تربط في إحدى ساحات السوق الخيول الضعيفة والحمير المتعبة أو التي كسرت أرجلها بعد أن يُهيّأ لها الماء والعلف حتى تنفق، أي تترك هناك بلا استعمال حتى يأتيها الموت.

وعن نجيح قال : رأيت الحسن بن علي(عليه السلام) يأكل، وبين يديه كلب، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له : يا ابن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال : دعه، إني لأستحي من الله تعالى، أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل، ثم لا أطعمه[٣٣].

شاهد الامام الحسن(عليه السلام) ذات يوم غلاما يطعم كلبا من رغيف خبز كان في يده فسأله الامام : ما الذي يحملك على اطعام هذا الكلب؟ فقال الغلام : انني استحي من خالقي ان اشبع وامامي كلبا جائع ينظر الي

(٣٢) مستدرك الوسائل للنوري ج٨ ص٣٠٦.
(٣٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٤٣ ص٣٥٢.

دون ان اطعمه، فسرّ الامام الحسن(عليه السلام) ذلك، فأمر بشراء الكثير من الأطعمة والثياب لذلك الغلام ثم عمد على شرائه من سيده واعتقه.[٣٤]

وعن الجلودي : وهو يذكر مصرعه أن الامام الحسين(عليه السلام) حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب، قال (عليه السلام) : أنت عطشان وأنا عطشان والله لا ذقت الماء حتى تشرب، فلما سمع الفرس كلام الحسين(عليه السلام) شال رأسه(اي رفعه) ولم يشرب كأنه فهم الكلام، فهذا الحسين بن علي (عليهما السلام) أبى أن يشرب الماء الا أن يشرب فرسه رفقا به.

وحادثة الحر مع الحسين (عليه السلام) عندما اشرف الحر وجماعته على الهلاك عطشاً في الصحراء وإذا بالحسين (عليه السلام) يأمر أصحابه بأن يسقوا الحر وجماعته ودوابهم (اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا).[٣٥] والمتمعن في الكلمات يرى معنى الترشيف (كيفية خاصة بوضع القربة أمام فم الفرس تساعد الحيوان على الشرب بطريقة صحية واقتصادية) رغم أن الحر ابن يزيد الرياحي جاء من اجل منع الحسين وصحبه من التوجه الى كربلاء ولكن هو درس في الأخلاق السامية في كيفية التعامل مع الإنسان والحيوان.

وهذا علي بن الحسين (عليهما السلام) يروى في أحاديث كثيرة انه حج على ناقة له عشر حجج ما قرعها بسوط. عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (حجّ علي بن الحسين (عليه السلام) على راحلته عشر حجج ما قرعها بسوط، ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط)[٣٦].

(٣٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم للسيد جعفر مرتضى ج٦ ص١٤.
(٣٥) الارشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٧٨.
(٣٦) بحار الأنوار : ج٦١ ص٢٠٤ ب٨ ح٦.

انظر الى الرسول الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام) كيف يتعاملون مع الحيوان بكل لطف ورحمة وشفقة، انهم بحق منبع الانسانية الصافي الذي يغدق علينا كل ما هو سامق ومتألق في التعامل الفطري مع تلك المخلوقات الضعيفة التي سخرها الله تعالى لخدمة الانسان، فحري به ان يعاملها بالحسنى امتثالا لأمر الله، واستيفاء لما تبديه من خدمات جليلة لبني البشر، وسموا للنفس في عدم التطاول على من هو دونه من الخلقة لما فيه من التدرج في السير الى الكمالات المعنوية في ترسيخ هذه الخصال في النفس الانسانية وكبح ما قد يطفح منها كوامن الشرور والازدراء والتمرد، وهذه العلاقة الودية اذا ما سادت بين الانسان وسائر المخلوقات فإنها تصقل من صاحبها نفسا متألقة في سماء العفو والتسامح والمعروف، وتقف سدا منيعا امام العواصف الهوجاء التي قد تعصف على بني البشر في تسونامي الفتنة والبغي والعدوان.

وهذا موجز يبين لنا كيفية التعامل مع الحيوان في الشريعة الاسلامية ولعل القارئ لا يستغرب كثيرا كونه اعتاد على سماع حقوق الحيوان في هذا العصر، ولكن لينقل فكره قليلا الى عصر صدر الاسلام قبل عدة قرون بزمن ليس فيه قيمة للإنسان فضلا عن الحيوان، لعلم عظمة هذا الدين وهذه الشريعة في التعامل الأخلاقي الأمثل مع الحيوان فضلا عن الانسان، سيما وانها انبثقت من بيئة جاهلية ديدنها الغزو وقتل الرجال وسبي النساء واستعباد الاخرين وقتل الاولاد خشية الفقر وقتل البنات خوفا من العار؟!.

وقد أفرد غير واحد من علماء الشيعة كتبا فيما يرجع إلى الوظائف الفردية والاجتماعية وبحثوا في دقائق الحقوق صغيرها وكبيرها، وقد توسعوا في التحقيق، فلم يدعوا في القوس منزعا حتى حرروا حقوق الحيوان على مقتنيه، حين لم يكن لهذه البحوث في الجوامع الغربية وزن ولا قيمة، وقد احتذوا في ذلك حذو صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) [٣٧].

(٣٧) رسائل ومقالات - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٢٥٢.

الرفق مع الاقتدار منقبة

الرفق مع الاقتدار، مبدأ، وليس وسيلة لتحقيق غاية آنية أو مرحلية، من هنا فليس هناك حد زمني بين الرفق وضده، بل قد يكون هناك حد تفرضه طبيعة سلوك الطرف الآخر المقصود بالرفق، طبيعة سلوكه وليس ذاته.. فالتحول مع الطفل من الرفق الظاهر إلى التأديب اللازم أمر يفرضه سلوك الطفل لا ذات الطفولة التي كنا قبل صدور هذا السلوك نتعامل معها بالرفق كله.. وكذا فالذات الانسانية أيضا لا تحتكر الرفق لنفسها، بل تشاركها فيه كل ذوات الأرواح ، وحتى النبات، وربما الجمادات الميتة أيضا، فلربما رأيت صبيا يعبث بالحصى بكل عنف، يهشم ويحطم، فأخذتك على هذه الحصى شفقة، أو أثار فيك المنظر اشمئزازا.

وهذا شأن الخلق حين يكون متأصلا في الفطرة، فكيف بك وأنت ترى معتوها يبطش ببهيمة ضعيفة لا تملك الدفاع عن نفسها ولا حيلة لها بالفرار من بين يديه، إلا أنها تصرخ وتجأر بكل ما تحسبه يرقق القلوب ويستدر العواطف عليها من صوت ؟ وكم استغل الشذوذ البشري ضعف الحيوان وقلة حيلته ليتخذه وسيلة للعبه وطيشه، فيجري عليه تجارب طيش معتوه بفنون الحبس وفنون التعذيب، وربما اتخذها مخبرا لقدراته في الصيد، فيجندل منها حتى يروي غروره فيعود منتفخ الصدر ومن ورائه عشرات الجثث الهامدة من أنواع الحيوان التي كانت تملأ الصحارى والحقول والأنهار والخلجان روحا وحركة وزينة وحياة..

فإذا كان الاسلام دين الهداية الحقة الذي أخذ على عاتقه مسؤولية نظم الحياة واعمار الدنيا، فلا تفوته العناية بالحيوان وحفظ حقه، بعد أن أعطى الانسان ما يستحقه، بل بعد أن تعدت رعايته للنبات الذي جعل

تعاهده ورعايته عبادة جزاؤها الثواب العظيم، وأعطى في الجنة شجرة تضله لمن غرس في الدنيا مثلها، وزاد على ذلك أن نفخ في روع تابعه أن لو كانت بيدك فسيلة، وليس بينك وبين قيام الساعة إلا أن تغرس هذه الفسيلة فاغرسها قبل قيام الساعة! (٣٨).

وهذه هي التعاسة بعينها انك تصب جام غضبك وحقدك على حيوان وديع لا حيلة له ولا قوة، وبقتلك اياه بتلك الطريقة البشعة من دون مبرر عقلائي وانما من اجل التسلية او اشباع الغرور فانك تقضي على الجمال والطبيعة وتسلب من الحياة رقتها ووداعتها ولطفها وبهجتها، وهذه النزعة موجودة مع بالغ الاسف في الذين يعتمل صدورهم الغل بدل الصفح والانتقام بدل السماح والوئام والانسجام.

وما دامت هذه النزعة الانتقامية مودعة في نفوس البعض فإنها بعيدة عن ميادين الرحمة المستكنة في النفوس الطيبة التي ترفع الشعار الخالد (العفو عند المقدرة) وما أحلى التعامل الأمثل مع الحيوان والانسان والنبات والابتعاد عن الأنانيات القاتلة التي تعكس مدى الحقد الذي يعتمل الصدور والشعور بالنقص والانتكاسة والحقارة، وطالما يتألق الانسان عندما يكون قادرا على العبث والانتقام والقتل الجائر، ولكنه يدعه لكي يضفي على الحياة منقبة التسامح والتعايش والتكامل بعيدا عن حالات الانتقام التي لا تجلب على الحياة الا نكدا ودمارا واندثارا.

ترى كيف كانت رعايته للحيوان الذي يعيش مع الإنسان ويساهم في اعمار دنياه؟ الاسلام يشجع على الحضور الفاعل خدمة للعباد والبلاد، ولا يتحقق هذا الحضور الحيوي الا من خلال اعطاء كل ذي حق حقه، فلو أخذ الانسان صاحب العقل والطموح حقه في الحياة وأراد اعمارها حفاظا على بيئة جميلة وغذاء مناسب وأجواء مريحة عليه ان يرفق بالموجودات التي لها حق الحياة مثلما هو يتمتع بذلك لكي تؤدي

(٣٨) الرفق في المنظور الإسلامي – مركز الرسالة – ص ٣٩ – ٤٠.

وظيفتها بأحسن ما يكون، فالرفق بالحيوان والنبات وحتى الجماد والتعامل الأمثل مع هذه الكائنات يضفي على الحياة بهجة وخيرا وفيرا، بخلاف التعامل القاسي معها فانه لا يجني من ورائه سوى الخراب والتخلف والانهيار، فالرفق ما حط على شيء الا زانه والسخط ما واكب شيئا الا شانه، ويكون الرفق في اعلى مراتبه اذا ما صدر عن مقدرة وقوة وسيطرة ونفوذ، حينئذ يحمل في جنباته مفاهيم السماحة وينبأ عن قلب مفعم بالعطف والحنو ازاء كل موجود يشغل حيزا من وجودك في الحياة، فهو بحق يعد منقبة ليس بعدها منقبة وعطاء تظهر بوادره الخيرة في كل زمان ومكان.

آداب الذبح في الإسلام

الله سبحانه وتعالى هو خالق الحيوان والانسان ولم يسمح للإنسان ان يكون عبثيا يقتل الحيوان كيفما كان، بل جعل شروطا منها واجبة ومنها مستحبة، من ذلك انه اوجب ان يذكر اسم الله على الذبيحة وكأنها اشارة الى ان الذابح يقول اذبح الحيوان بإذن الله سبحانه المالك وليس عبثا لأنه اذن لي، وإذا أردت أن تذبح فاقطع الأوداج الأربعة تماماً، والأوداج الأربعة هي (المريء) مجري الطعام و(الحلقوم) مجرى التنفّس و(الودجان) وهما عرقان يحيطان بالحلقوم والمريء.

ويكون القطع من تحت الجوزة حتى لا تكون الجوزة في الجسد، ولو أخطأت فقطعت من فوق الجوزة لا من تحتها ثمّ انتبهت فوراً لخطئك فيجوز أن تعود فتقطع من تحت الجوزة قبل أن تموت الذبيحة؟

وتختصّ الإبل من بين البهائم بانّها تنحر ولا تذبح، وإذا أردت أن تنحر الإبل فأدخل السكين أو الرمح أو غيرهما من الآلات الحديدية الحادة في لبّتها، واللبّة هي الموضع المنخفض الواقع في أعلى الصدر متّصلاً بالعنق.

وشروط الذباحة :

١ – أن يكون الذابح مسلماً رجلاً كان أو امرأة أو صبياً مميّزاً، فلا تحل ذبيحة الكافر.

٢ – أن يكون الذبح بآلة حديدية قدر الإمكان، أمّا إذا لم توجد الآلة الحديدية جاز الذبح بالنحاس أو الصفر أو الرصاص أو الزجاج أو الحجارة الحادّة أو غيرها مما يقطع الأوداج.

٣ – أن توجّه الذبيحة للقبلة حال الذبح وذلك بأن توجّه مقاديم جسدها من الوجه واليدين والبطن والرجلين للقبلة إذا كانت قائمة أو قاعدة للقبلة تماماً كما يتوجّه الإنسان القائم أو القاعد للقبلة حال الصلاة. أما إذا كانت الذّبيحة ملقاة على الأرض فيتحقّق استقبالها للقبلة باستقبال منحرها وبطنها للقبلة، ولو لم توجّه الذبيحة للقبلة حال الذبح حرمت مع العمد، ومع عدم العمد إذا كان السبب عدم توجيهها للقبلة هو النسيان أو الخطأ أو عدم العلم بجهة القبلة أو عدم التمكن من توجيه الذبيحة لها أو عدم العلم بأن توجيهها للقبلة شرط من الشروط التي يحل بموجبها أكل الذبيحة فلا تحرم الذبيحة.

٤ – أن يذكر الذابح اسم الله وحده عليها لأجل الذبح سواء سمى حين الشروع في الذبح أم قبله متّصلاً به عرفاً، يكفي أن يقول : (بسم الله) أو (الله اكبر) أو (الحمد لله). ولو نسي الذابح التسمية عليها لم تحرم الذّبيحة.

٥ – أن يخرج الدم بالشكل المتعارف المعتاد، فلا تحل الذبيحة إذا لم يخرج منها الدم أو خرج قليلاً بالنسبة إلى نوعها بسبب انجماد الدم في عروقها، وأما إذا كانت قلّته لأجل سبق نزيف الذبيحة لجرح مثلاً لم يضرّ ذلك بحليتها.

ولنذكر بعض المستحبات والآداب في الاسلام للذبح منها : يستحب أن يترك الطير بعد الذباحة، وان لا يذبحه امام الحيوانات الاخرى، ويستحب حد الشفرة وسرعة القطع، وأن لا يري الشفرة للحيوان فقد روي أنه (ﷺ) : مر برجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليها ببصرها، فقال له : أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟.[٣٩]

ولا يحركه من مكان إلى آخر بل يتركه في مكانه إلى أن يموت، وأن يساق إلى الذبح برفق، ويعرض عليه الماء قبل الذبح، وان لا يسلخ جلد الذبيحة قبل خروج روحها، وان لا يذبح ما رباه : عن أبي الحسن(عليه السلام) قال الراوي : قلت جعلت فداك كان عندي كبش سمين لأضحي به، فلما أخذته وأضجعته نظر إلي فرحمته ورققت عليه ثم إني ذبحته، قال : فقال لي : ما كنت أحب لك أن تفعل، لا تربين شيئا من هذا ثم تذبحه[٤٠].

ويمر السكين بقوة ذهابا وإيابا ويجد في الاسراع ليكون أسهل، وعن النبي(ﷺ) أن الله تعالى شأنه كتب عليكم الاحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته، وفي خبر آخر أنه (ﷺ) أمر أن تحد الشفار وأن توارى عن البهائم.[٤١] وان يبتعد عن كل ما فيه تعذيب للحيوان قبل الذبح وبعده ويسلك اسهل الطرق المشروعة في ذلك.

(٣٩) اعانة الطالبين، البكري الدمياطي ج٢ ص ٣٩٣.
(٤٠) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني ج١٧ ص٢١٣.
(٤١) المبسوط الشيخ الطوسي ج٧ ص٥٦.

وقد جاء النهي في الشريعة الاسلامية عن التحريش يعني اغراء وتهييج بعضها على بعض للعراك كما يفعل في الخراف والديوك، فعن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : أنه نهى عن التحريش بين البهائم.

عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : انه نهى عن اخصاء الخيل والبهائم[٤٢].

وعن الباقر (عليه السلام) : أنه كره اخصاء الدواب والتحريش بينها[٤٣].

مما سبق يتضح لنا أن الإسلام أحاط الحيوان بالرأفة والرحمة، فكيف يمكننا الجمع بين الرحمة والرأفة بالحيوان وبين الأمر بذبحه سواء لأكله أو تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى؟!.

هناك اتفاق بين البشر على منفعة أكل لحوم الحيوانات مأكولة اللحم كالجمال والابقار والاغنام أو الطيور كالدجاج والأوز والبط والحمام، ولا يعقل أن يأكل الناس هذه الحيوانات والطيور وهي حية فلابد من قتلها.

إذن فإن عقلاء البشر يتفقون على ضرورة قتل الحيوان للاستفادة من منفعته التي خلقها الله، وجاء الإسلام بالإذن في ذلك، إلا أنه حدد وسيلة القتل بالذبح ولكن بالشروط الانفة الذكر، وغير المسلمين من أصحاب الدعوات الحديثة يرون أن قتل الحيوان بالذبح تعذيب له، ويرون أنه من الرحمة قتله بالصعق الكهربائي أو الضرب على رأسه، وهذا أمر يتنافى مع الشرائع السماوية لمختلف الأديان ومنها اليهودية، بل ويتنافى كذلك مع التقارير الطبية الحديثة، حيث انه بالصعق والضرب يبقى الدم في جسد الحيوان مما يسبب تلوثه بشتى انواع الأمراض والميكروبات الوبائية بخلاف الذبح الذي من خلاله تتخلص الذبيحة من كافة السموم بعد خروج وتدفق الدم منها.

(٤٢) نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٢٤٩.
(٤٣) المحاسن للبرقي ج٢ ص٦٣٤.

لا أكتمكم إني ساعة دخلت القاعة لحوارية اسمها (الذباحة والصيد) ما كان يخطر ببالي أن أسمع ما سمعت، ولا أن أخرج منها بما خرجت به، فقد كنت أظن أني سأسمع اليوم عن (الذباحة) قساوة في التعامل مع المذبوح تساوق قساوة الذبح، ولكني فوجئت... ترى أبكل هذه الرقة في التعامل مع الحيوان يوصي المشرع الاسلامي ذابح الحيوان أن يذبح عندما يذبح! ترى أبكل هذا الاهتمام حتى بمشاعر الحيوان وأحاسيسه من أن تتوتر أو تتشنج أو تثور يحث المشرع الاسلامي ذابح الحيوان أن يتصرف! ترى أبكل هذا الحرص على عدم تعذيب الحيوان أو ايذائه يدعو المشرع الاسلامي ذابح الحيوان أن يكون! استعرضت هذه الأفكار في ذهني على عجل، واستعرضت معها بالمقابل ببطء قاس صورا مفزعة لحالات تعذيب مريعة للحيوان، وأنا استمع إلى أبي وهو يحدثني عن مستحبات الذباحة.

قال أبي : يستحب لذابح الحيوان أن يسوق حيوانه إلى مذبحه برفق، ويستحب لذابح الحيوان أن يوفر على حيوانه الماء قبل ذبحه، ويستحب لذابح الحيوان أن لا يري حيوانه شفرة الذباحة، ويستحب لذابح الحيوان أن يمر السكين على مذبح حيوانه بقوة حتى يريحه ساعة الذبح، ويستحب لذابح الحيوان أن يجد في الاسراع بذبح حيوانه ليضمن سهولة الذبح، ويستحب لذابح الحيوان أن لا يحرك حيوانه بعد ذبحه من مكانه إلى آخر حتى يموت.

ويكره أن تكون الذباحة بمنظر من حيوان آخر، ويكره أن يذبح الانسان بيده ما رباه من الأنعام، ويكره سلخ جلد الذبيحة قبل خروج روحها [٤٤].

(٤٤) حواريات فقهية – السيد محمد سعيد الحكيم – ص ٢١٤ – ٢١٥.

ولذلك فلا تعارض بين الرحمة بالحيوان والامتثال لأمر الله بذبحه للانتفاع الذي أذن الله به، ولتحقيق وظيفة هذا الحيوان في الكون التي خلقها الله من أجله، وهي أن يأكله الإنسان ليحدث التوازن البيئي الكوني وليقوى على طاعته سبحانه وتقديم الخدمات الجليلة للعباد والبلاد.

مقررات الرفق بالحيوان في الاسلام

إن مقررات الرفق بالحيوان ميدان رحب فسيح في شرع الله، ونجد ذلك واضحا في المنهج النظري ووضوحه في التطبيق العملي، ويتمثل ذلك في ما ورد من الروايات والاحاديث الشريفة التي نصت على وجود احكام وحقوق خاصة بالحيوان يجب على المسلم مراعاتها بدقة، ونستعرض فيما يلي نموذجا من هذه الحقوق دون التفصيل فيها من أجل بيان ما قرره الاسلام في هذا الموضوع :

أوصت النصوص الشريفة الواردة عن المعصومين بما يلي :

١ـ الرفق بالبهائم.

٢- أن لا يقف عليها وعلى احمالها.

٣- ان لا يسقيها بلجمها.

٤- أن لا يحملها فوق طاقتها.

فعن الامام علي (عليه السلام) : (ارفق بالبهائم، ولا توقف عليها أحمالها، ولا تستقي بلجمها، ولا تحمل فوق طاقتها [٤٥].

(٤٥) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٠٣.

٥- ان لا يعقلها وعليها جهازها :

فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه : (أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال : أين صاحبها؟ مروه فليستعد للخصومة)[٤٦].

٦- ان لا يقف على ظهرها.

٧- ان لا يكلف الدابة من المشي ما لا تطيقه.

٨- ان يكون أول ما يبدأ به حين وصوله للمنزل هو أن يقدم الماء والعلف للدابة.

فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) انه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (للدابة على صاحبها خصال ست : يبدأ بعلفها اذ نزل، ويعرض عليها الماء اذا مر به، ولا يضرب وجهها، فأنها تسبح بحمد ربها، ولا يقف على ظهرها الا في سبيل الله، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي الا ما تطيق)[٤٧].

٩- ان ينظف مرابضها.

١٠- ان يمسح رعام الغنم، أي ما يخرج من أنوفها.

١١- اماطة الاذى عنها.

فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)انه قال : (نظفوا مرابض الغنم، وامسحوا رعامهن، فأنهن من دواب الجنة)[٤٨].

---

(٤٦) بحار الانوار، ج٧، ص٢٧٦.
(٤٧) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٠١.
(٤٨) بحار الانوار، ج٦١، ص١٥٠.

١٢- ان يسقي ذوات الأرواح اذا عطشت، حتى لو كانت من الهوام، ومن غير مأكول اللحم.

١٣- أن لا يحبسها.

١٤- أن لا تربط حتى تموت جوعا أو عطشا.

فقد روي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) : (ان امرأة عُذبت في هرة، ربطتها حتى ماتت عطشا)[٤٩].

وعن موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (رأيت في النار صاحبة الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة، كانت اوثقتها، لم تكن تطعمها، ولم ترسلها تأكل من حشائش الارض، ودخلت الجنة فرأيت صاحب الكلب الذي ارواه من الماء)[٥٠].

١٥- أن لا تقتل البهيمة عبثا.

فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : (من قتل عصفورا جاء يوم القيامة يعج؛ إلى الله تعالى يقول : يا رب، ان هذا قتلني عبثا، لم ينتفع بي، ولم يدعني فآكل من حشارة الارض)[٥١].

١٦- ان لا يتخذ أحد شيئا فيه روح غرضا، ليرميه بسهامه.

فقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام)، وعن آبائه (عليهم السلام) انه قال : (مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قوم نصبوا

(٤٩) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٦٧.
(٥٠) بحار الأنوار للمجلسي ج٨ ص ٣١٦.
(٥١) بحار الانوار، ج٦١، ص٤.

دجاجة حية، وهم يرمونها بالنبل، فقال : من هؤلاء، لعنهم الله)؟! [٥٢].

١٧- أن لا يصيد الطيور ليلا، فان الليل أمان لها.

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال : (نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن اتيان الطير بالليل، وقال : ان الليل امان لها) [٥٣].

١٨- ان لا تؤخذ فراخ الطير من اوكارها حتى تنهض، أو حتى يريش او يطير.

جاء في الرواية (ان الفرخ في ذمة الله ما لم يطر)[٥٤].

١٩- ان لا تُصْبَر البهائم.

فعن جابر قال : (نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يقتل شيء من الدواب صبرا)[٥٥].

والصبر هو : ربطها ثم ترمى حتى تموت.

٢٠- وان لا يمثَّل بها.

فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : (لعن الله من مثل بالحيوان) [٥٦].

---

(٥٢) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٥٩.
(٥٣) بحار الانوار، ج٥٩. ص٢٨٦.
(٥٤) مستدرك الوسائل، ج١٦، ص٢٣٩.
(٥٥) بحار الانوار، ج٦٢، ص٣٢٨.
(٥٦) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٨٢.

٢١- لا يحرق الحيوان.

ورد في مناهي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (انه نهى عن أن يحرق شيء من الحيوان)[٥٧].

٢٢- الذي يحلب الحيوان عليه ان يقلم أظافره، حتى لا يؤذي ضرع الحيوان بأظافره حال الحلب.

فعن سوادة بن الربيع انه قال : اتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسألته، فأمر لي بذود، ثم قال لي : (اذا رجعت إلى بيتك فمرهم فليحسنوا غذاء رباعهم، ومرهم فليقلموا اظافرهم، ولا يعبطوا بها ضروع مواشيهم اذا حلبوا)[٥٨].

٢٣- ان لا تضرب الدابة على وجهها.

فالإمام السجاد (عليه السلام) روي عنه انه حج على دابة عشرين حجة، او عشر حجج ولم يضربها ضربة واحدة، ولم يضربها على وجهها ولا على غيره [٥٩].

٢٤- ان لا تتخذ الدابة كراسي للحديث في الطرق والاسواق.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : (اركبوا هذه الدواب سالمة، واقرعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطريق والاسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، واكثر ذكرا لله تبارك وتعالى منه) [٦٠].

٢٥- ان لا يجيعها.

---

(٥٧) بحار الأنوار، ج٦١، ص٦٧.
(٥٨) مسند أحمد، ج٣، ص٤٨٤.
(٥٩) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٠٦.
(٦٠) بحار الانوار، ج٦١، ص٢٠٥.

فعن عبد الله بن جعفر : ان النبي (ﷺ) دخل حائطا لبعض الانصار، فاذا فيه جمل، فلما رأى الجمل (ﷺ) ذرفت عيناه، فمسح النبي (ﷺ) سنامه.

فسكن ثم قال : من رب هذا الجمل؟

فجاء فتى من الانصار فقال : هو لي يا رسول الله

فقال (ﷺ) : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فانه يشكو الي انك تجيعه وتذيبه) [٦١].

٢٦- ان لا يطيل الركوب على الدابة بغير حاجة، وترك النزول للحاجة.

فعن النبي (ﷺ) انه قال : (اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فان الله عز وجل انما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس، وجعل لكم الارض فعليها فاقضوا حاجاتكم)[٦٢].

كانت هذه شذرات وقبسات قليلة مما جاء في الروايات من حقوق وآداب ينبغي التعامل بها مع الحيوان، وهناك الكثير من الحقوق التي لم نتعرض لها لان الغرض الاساس هو بيان ما قدمته الشريعة الاسلامية في هذا الميدان[٦٣].

بالرغم من التطور الهائل في وسائل النقل والتكنلوجيا الحديثة التي يشهدنا العالم في عصرنا الحاضر من سيارات فارهة وطائرات سريعة وقطارات مريحة والتي ألقت بظلالها على عالم الحيوان فاستغنينا عن امتطائها

(٦١) بحار الانوار، ج٦١ ص١١١.
(٦٢) بحار الانوار، ج٦١، ص٢١٩.
(٦٣) راجع للتفصيل في هذا الموضوع : مرتضى، السيد جعفر، حقوق الحيوان في الاسلام، المركز الاسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

كوسائط نقل حيث انها أصبحت جزءا من الماضي العتيد، بيد اننا نستفيد من الحيوانات ابلغ الاستفادة من جهات أخرى متعددة كأصوافها ووبرها وجلودها ولحومها وألبانها وجمال وعظمة خلقتها، للملبس والمأكل والزينة وبقية الصناعات التي تتدخل فيها أجزاء الحيوانات كمواد أولية اساسية في التنمية المستدامة المتطورة التي تشهدها البلدان الصناعية الكبرى، وهذا لا يسقط حق الحيوانات في رعايتها وتنظيف مرابضها والاعتناء بنظافتها ومعالجتها بمشافي الطب البيطري المتطورة وذبحها بالطرق الشرعية الحديثة، كل هذا يصب في خانة الرفق بالحيوان الذي لا يتقادم بالزمن، بل تتعاظم الحاجة اليه نظرا لأهميته في توفير ما يحتاجه الانسان المتحضر في مجالات الحياة المتنوعة.

أثر العلاقات النفسية بين حقوق الحيوان وحقوق الانسان

الدقة في استيفاء حقوق الحيوان ينبأ ان الاسلام يقدم معالجات جذرية نابعة من محفزات دينية ووجدانية لترتقي أطر العلاقات الوطيدة بين المخلوقات الى مصاف العلاقات النموذجية في حفظ الحقوق وأداء الواجبات المنوطة بها بدوافع طوعية تجلب على نفس الانسان الاطمئنان والدعة، فانه من جانب قد ينفذ أوامر الخالق المتعال في هذا الشأن، ومن جانب آخر يتعامل بشكل راق مع الأمم المماثلة مما يحفظ شأنها ولا يلحق بها أي أذى مادي أو معنوي.

قديما قالوا من شب على شيء شاب عليه، وهذا المثل ينطبق على الانسان اذا تعامل بلطف ورفق مع الحيوان منذ نعومة اظفاره نتيجة التربية السليمة التي يتلقاها من الأبوين والمجتمع الراشد، فانه قد تنغرس في نفسه خصلة الرفق التي ستكون وبمرور الزمن بمثابة البوصلة في التعامل الأرشد مع سائر الموجودات، وتتعاظم هذه الخصلة اكثر مع بني جنسه للألفة الموجودة بين الانسان وصنوه، فالرفيق مع الحيوان والنبات والجماد يكون اكثر رفقا في علاقاته مع أخيه الانسان، بخلاف العنيف ازاء المخلوقات يكون اكثر عنفا ازاء الانسان لما يحمل بين جنبيه روحية العنف والتصادم والإلغاء، ومن المفترض اذا ما اردنا ان نحصل على مجتمع متماسك علينا بتنمية روح الرفق في الانسان منذ صغره حتى تتجذر تلك الخصلة الراقية وتصبح جزءا من أخلاقه وتعامله النفسي واللاإرادي مع سائر المخلوقات حتى نهاية عمره، وما دامت خصلة اللطف والرفق تكون هي السائدة بين أفراد المجتمع فإنها ستؤثر ايجابا على تكامل المجتمع والسير به نحو المجد الصلاح والفلاح.

الإنسان هو أساس الكون وبه يتم اعماره ولقد كرم إسلامنا الإنسان أحسن تكريم فلم يجعل لشخص على اخر فضل لا بلون ولا بجنس ولا بعرق، وجعل اساس التفاضل هو التقوى لهذا كرم الاسلام وجميع الديانات من قبله الإنسان وجاء على اثر ذلك تكريمه من قبل الحقوقيين في العالم وجعل لذلك قانون عالمي اتفقت عليه كل دول العالم ومن صور هذا التكريم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغيره من المعاهدات تم تحضير وتأسيس اول معاهدة جماعية في مجلس اوروبا وهي (اتفاقية حماية الانسان والحريات الاساسية) وتم التوقيع على هذه الاتفاقية في مدينة (روما) في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني في سنة ١٩٥٠م واول ما يلفت النظر في هذه الاتفاقية انها ليست اوروبية ولا اقليمية بل انها ذات طابع عالمي وان فائدتها تعود للجميع .

ومن اهم حقوق الانسان والحريات الاساسية التي ثبتت في هذه الاتفاقية الحقوق والحريات الشخصية وهي :

١_ حق الحياة واحترام الكرامة الانسانية

٢_ الحق في احترام الحياة الخاصة

٣_ حرية التنقل واختيار مكان الاقامة

٤_ الحق في الامان بمعنى (الحماية)

٥_ حرية التملك

٦- حقوق اجتماعية واقتصادية

٧- حقوق السلامة الشخصية

ومن اهم الحقوق الفكرية :

١_ حرية الاعتقاد

٢_ حرية التعبير

٣_ حرية التعليم

٤_ حرية الرأي

وبما ان الضامن لحقوق الحيوان هو الانسان؛ لأنه العقل المدبر في الكون واليه تصير الأمور سلبا أو ايجابا حسبما تقتضيه الظروف وحسبما تمليه عليه أفكاره وتصرفاته وتعامله مع الآخر، فإن الذي يفتقد بعض حقوقه أو كلها ليس جديرا بضمان حقوق الحيوان، حيث ان فاقد الشيء لا يعطيه، وكم هو أمر مضحك في نظر الكثيرين ان يتحدث أحدهم عن حقوق الحيوان في مجتمع يفجر فيه الانسان نفسه على مجموعة من الناس لأسباب فكرية وعقائدية، وكم هو أمر مثير للسخرية ان يتحدث أحدهم عن تقليل معاناة الحيوان في مجتمع يذبح فيه الانسان أخيه الانسان لأسباب طائفية، وكم هو أمر سخيف ان يتحدث أحدهم عن التعاطف مع الحيوان في دول تدعي حقوق الحيوان فضلا عن الانسان وفي الوقت نفسه تصنع مجازر بشرية لمصالح ضيقة أو لبسط نفوذ في مناطق رخوة ذات جدوى اقتصادية أو سياسية او ما شاكل ذلك؟!.

أما الانسان المؤمن الذي يحصل على حقوقه ويعيش سعيدا يرفل بما وهبه الله تعالى من حريات وحقوق، ويؤدي ما عليه من واجبات تجاه الدولة والمجتمع، فان ما ينتابه من شعور نفسي ازاء المخلوقات يكون نابعا من ضميره الصافي وثقافته الدينية المتجذرة في داخله، التي تحتم عليه معاملة الحيوانات والطيور والحشرات وحتى النباتات بكل لطف واناة واحترام، لما يشعر بداخله من مسانخة تحصيل الحقوق اضافة الى ما للدافع

الديني من تشويق في المعاملة الحسنى لها ومن تحذير من المعاملة السيئة لهذه المخلوقات التي خلقها الله تعالى لإضفاء الجمال والكمال على البيئة والانسان على حد سواء.

نلفت النظر إلى مستوى المدينة الفاضلة التي يستطيع الاسلام أن يحققها بتشريعاته التي تشمل كل علاقات الانسان وحقوقه وجميع حركاته وسكناته وأفعاله وتروكه، وتنتظم في مجموعة الأحكام الوضعية بأنواعها والتكليفية بأقسامها التي انقسمت متعلقاتها بالواجبات من الحق والملك والحجية والولاية والحكومة وغيرها والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات، تلك التشريعات التي تحرص على صيانة حياة الانسان وحريته وكرامته وحقوقه، وترشده إلى مصالحه ومفاسده، ومنافعه ومضاره في جميع نشآت وجوده، وإن كان إدراك كلها متعذرا، والنيل إلى جلها متعسرا، إلا أن ما يتيسر منه يدل على الحكم المكنونة في قوانين هذه الشريعة والألطاف الخفية في أحكامها، فإن نظرة في الأحكام والآداب التي قررها الاسلام لحقوق الحيوان المسخر لخدمة الانسان، تكشف لنا عن نظرة الاسلام السامية إلى حقوق الانسان، وفي قوله (ﷺ) : للدابة على صاحبها دلالة على أن هذه الخصال حقوق للدابة، وعلى صاحبها أداء الحق إلى ذي الحق.

وفي روايات أخرى أن لا يقبح وجهها، ولا يسرع في السير إلا في الأرض الجدباء، وأن يتركها ترعى في الأرض المعشبة، ولا يتخذ ظهرها مجلسا يتحدث عليها. ومن أكل في منزله طعاما فسقط شيء فليتناوله، ومن أكل في الصحراء أو خارجا فليتركه للطير والسبع ولو فخذ شاة، تستفيد منه الحيوانات حتى السباع.

كما نهت الشريعة المقدسة عن البول في الماء لأن للماء أهلا، وذلك في زمان لم يكن يعرف أحد وجود الحيوانات المجهرية! فمن هذه النماذج من حقوق الحيوان في الشريعة، نعرف برنامجها في المحافظة على حقوق الانسان، وتحقيق العدالة في مجتمعه! (٦٤).

(٦٤) منهاج الصالحين - الشيخ وحيد الخراساني - ج ١ - ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

الرحمة بالحيوان بين الإسلام وأدعياء الحضارة

الإسلام دين الرحمة، ورحمة الإسلام لا تختص بالإنس فقط، بل هي رحمة للعالمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٦٥) والعالَمون جمع عالم، وعالم الحيوان يشكل عالَما من العالمين، فبلا شك أن له نصيبا من الرحمة، بل قد أصابه من ذلك الشيء الكثير.

وإذا كانت الحضارة الغربية تزعم - أو يُزعم لها - بأنها أول من أصَّلت لمسألة الرفق بالحيوان؛ فهذا زعم باطل، فقبل أن يعرف العالم الرفق بالحيوان بأربعة عشر قرنا من الزمان أمر الإسلام أهله بالإحسان إلى الحيوان، والإحسان أعلى وأرقى وأعم من الرفق.

فالإسلام أول من أَصل رعاية الحيوان والرفق به في آداب راقية؛ منها ما هو واجب يأثم المرء إن لم يفعله، ومنها ما هو مندوب، لفاعله أجر وثواب ومغفرة.. فهل ترقى قواعد جمعيات الرفق بالحيوان إلى هذه الدرجة؟!.

كلا.. فجمعيات الرفق بالحيوان إنما تقوم على أسس أخلاقية صرفة، وقواعد إنسانية عامة، ليس لها أساس تشريعي ولا قوانين ملزمة، ولا يترتب على أعمالها ثوابا لممتثل، ولا عقوبة على مخالف، إلا ما يكون من رفع بعض القضايا للمحاكم للنظر فيها.

---

(٦٥) الأنبياء: ١٠٧.

ولئن كانت أول جمعية للرفق بالحيوان تأسست في بريطانيا عام ١٨٢٤ م، فقد عرفت الحضارة الإسلامية الرفق بالحيوان منذ قامت، واستمر ذلك عبر تاريخها؛ وسجل الوقف الإسلامي سبقا في إنشاء دور لرعاية الخيل، وأخرى لرعاية الحيوانات الضالة، وكان هناك أوقافٌ خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافٌ لرعاية الحيوانات المسنة، قبل أن تعرف الحضارة الغربية الرفق بالحيوان بقرون عديدة.

لنذكر كيف كان اعتناء أسلافنا بالحيوانات التي تعيش معهم وشيوع مبدأ "حقوق الحيوان" حينها : فقد كانت هناك أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعي الحيوانات المسنّة العاجزة (ومنها أرض المرج الأخضر التي يقام عليها الآن الملعب البلدي في دمشق) فإنها كانت وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع منها، فترعى في هذه الأرض حتى تموت، وأيضاً كان هناك وقف للقطط تأكل منه وترعى وتنام حتى كان يجتمع في دارها المخصصة لها مئات القطط الفارهة السمينة التي يُقدم لها الطعام كل يوم وهي مقيمة لا تتحرك إلا للرياضة أو للنزهة!!

فقد كان شخص موظف في الدولة اسمه (المحتسب) مثل الشرطي في أيامنا هذه، كان مِن مهمته أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها وضربها أثناء السير، ومن رآه يفعل ذلك عاقبة وحاسبه، ويجبرهم المحتسب على فعل ذلك لما فيه من المصلحة ولا يُحمِّلون الدواب أكثر من طاقتها، ولا يسوقونها سَوقاً شديداً تحت الأحمال، ولا يضربونها ضرباً قوياً، ولا يوقفونها في العِراص (الساحات العامة) وعلى ظهورها أحمالها، فإن هذا كله نهت الشريعة المطهرة عن فعله، وعليهم أن يراقبوا الله عز وجل في علف الدابة وعليقها ويكون موفراً عليها بحيث يحصل به الشبع ولا يكون مبخوساً ولا نزراً[٦٦].

ولقد جسّدَ المسلمون من أهل اليمن ـ وربّما كان هناك غيرهم ـ أخلاق الاسلام في الرحمة بالحيوان والرفق

(٦٦) مستفاد من كتاب : من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

به في أحد أسواق صنعاء المعروفة بـ (سوق العرج) حيث تربط في إحدى ساحات السوق الخيول الضعيفة والحمير المتعبة أو التي كسرت أرجلها بعد أن يُهيّأ لها الماء والعلف حتى تنفق، أي تترك هناك بلا استعمال حتى يأتيها الموت.

وبناء على النصوص الشرعية ومقتضياتها بوَّب فقهاء الإسلام ما يجب ويستحب أو يحرم ويُكره بخصوص الحيوان بوجه عام، وبما يتعلق بالذكاة لمباح الأكل بوجه تفصيلي خاص؛ ذلك لأن الله تعالى سخر الحيوان لخدمة الإنسان، فله ذبحه لمصلحة معتبرة؛ ولكن ليس له إيذاؤه أو الإضرار به لغير مصلحة شرعية، فقد أذن الإسلام للناس في الانتفاع بما يُنتفع به من الحيوان، ولم يأذن في غير ذلك؛ ولذلك كُره صيد اللهو، وحرم تعذيب الحيوان لغير أكله؛ وقد عدَّ العلماء الاستطالة على الحيوان من الكبائر لورود اللعن على من يعذب الدواب.

لقد شملت رحمة الإسلام ورعايته الحيوان الأعجم، لأن الله سخره لخدمة الإنسان، ومن الواجب صيانة هذه النعمة حتى يدوم الانتفاع بها، بل إن رحمته شملت الحيوانات الأخرى التي لا تظهر فيها المنفعة المباشرة في الأمور الأساسية للحياة، لأنها على كل حال مخلوقات تحس بما يحس به كل حيوان، ولها في الكون وظيفة خلقت لها، هذا، وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حدًّا لا يكاد يُتصور، حتى إن عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق [٦٧].

فأين جمعيات الرفق بالحيوان من هذا الأدب العظيم؛ بل أين جمعيات الرفق بالحيوان مما يحصل للحيوانات من إيذاء وضرر في مسابقات وحشية قاسية؛ كتلك المعروفة بـ (مصارعة الثيران) في أسبانيا وموزمبيق واليونان وإيطاليا وبولندا وغيرها؛ تلك المسابقات التي يجتهد فيها المصارع أن يقتل الثور تدريجيًا ليذيقه

(٦٧) رواه ابن سعد في طبقاته، والبيهقي في الشعب.

الموت البطيء، وذلك عن طريق رمي السهام في جسده، ورؤية دمائه تتفجر من كل جزء من بدنه، لا لشيءٍ إلا لمجرد التسلية والاستمتاع!! وتقام هذه المصارعات في حلبات كبرى يشاهدها جمهور يستمتع بتعذيب الثور بهذه الطريقة البشعة؛ ويدعون ذلك ضربا من الحضارة!! حتى إن الإحصائيات تشير إلى أن ما يقرب من ٣٥ ألف ثور يُعذَّب ويموت سنويًا في أسبانيا وحدها، ونحو ١٠ آلاف ثور في حلبات أوروبا.

وهناك مسابقات أخرى لا تقل قسوة في التحرش ببعض الطيور والحيوانات كمصارعة الديوك والكباش وغيرها، واتخاذ بعض الحيوانات والطيور غرضا للتنافس رميا بالرصاص، وأين جمعيات الرفق بالحيوان عن الصعق الكهربائي للحيوانات، وضربها بالهراوات على رأسها حتى المات، وتعذيبها لإزهاق أرواحها؟! ويزعمون أن ذلك أهون من الذبح الشرعي الذي يهرق الدم من غير إيذاء كالذي يفعله المسلمون، أم أن ذبح المسلمين للأضاحي، وتقربهم إلى الله بذبح الهدي في الحج وتوزيع لحمه على الفقراء هو الشغل الشاغل لهذه الجمعيات التي تدعي الرفق بالحيوان؟!

فليعلم هؤلاء أن رب العالمين الذي خلق الحيوان هو الذي أمر بهذا، وجعله شعيرة من شعائره، وهو أرحم بمخلوقاته ممن يدعي الرفق بالحيوان؛ وهي سنة من سنن الأنبياء والمرسلين، ولن يتخلى عنها المسلمون طال الزمن أم قصر، رضي الكفار أم سخطوا، لأنه أمر من الله القائل في محكم التنزيل : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَاهَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٨) وقال تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(٦٩).

(٦٨) الحج : ٣٦، ٣٧.
(٦٩) الكوثر : ٢.

من هنا يظهر جليّا الفرق الشاسع بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات؛ تلك الحضارة العظيمة التي حرصت على إعطاء الحيوان حقه والاهتمام به، والإحسان في التعامل معه، وحرَّمت مظاهر القسوة والعنف ضده؛ ففي الوقت الذي قررت فيه شريعة الإسلام الرفق بالحيوان، نُقِل عن الحضارات القديمة والوسيطة كقدماء العبرانيين واليونان والرومان والفرس، والأمم الأوروبية الحديثة فيما بين القرن الثالث عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أنها كانت تقرُّ مبدأ مسؤولية الحيوان عن تصرفاته؛ وليس أدل على ذلك مما ورد في شرائع اليهود (المحرفة) من وجوب رجم الثور إذا نطح رجلاً فقتله!! ففي (سفر الخروج - إصحاح ٢١) : (إذا نطح ثور رجلا أو امرأة، وأفضى ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور، وحرم أكل لحمه)؛ وهذا النص صريح في اعتبار الثور أهلاً لاحتمال المسؤولية الجنائية، وفي اعتبار رجمه جزاءً بالمعنى القانوني الدقيق لكلمة الجزاء؛ بل وُجدت محاكمات خاصة للحيوانات في شرائع اليونان القديمة، ذكر فيها أفلاطون في (القوانين) أنه إذا قتل حيوان إنسانًا كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء!! وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان، يجب قتله قصاصًا!! وبلغ الأمر عند قدماء الفرس غاية العجب! إذ ورد في أسفار الأبستاق (أو الأفستا : وهي مجموعة الكتب المقدسة المنسوبة لزرادشت، والتي تقوم عليها الديانة الزرادشتية عند قدماء الفرس) أن الكلب المصاب بالكَلَب (داء الكلب) إذا عض خروفا فقتله، أو إنسانًا فجرحه قطعت أذنه اليمنى!! فإن تكرر منه ذلك قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى، وفي الرابعة رجله اليسرى، وفي الخامسة يستأصل ذنبه؛ ويعاقب صاحبه كذلك إن كان قد أهمل في اتخاذ ما ينبغي اتخاذه حيال كلبه من احتياط ورقابة.

وفي القرون الوسطى كانت فرنسا أول دولة نصرانية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة!! ثم تلتها سردينيا، ثم بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي هولندا وألمانيا وإيطاليا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي؛ وظل العمل به قائما عند بعض

الشعوب حتى القرن التاسع عشر الميلادي!! ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا القانون وتلك العقوبات التي يقررها بصورة تراعى فيها سوابق الجاني من تسليم بأهلية الحيوان لاحتمال المسؤولية الجنائية وما يترتب عليها من جزاء.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تحرص على الإحسان في التعامل مع الحيوان وإعطائه حقوقه، إلا أنها قررت – أيضا – قتل الضار منه، وتحريم ما يؤذي الإنسان أكله؛ عَنْ النَّبِيِّ الاكرم قَالَ : (خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ : الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ) (٧٠).

وهذا هو التوازن الذي تسعد به البشرية حقًّا، فلا شك أن هديَّ الإسلام في الإحسان إلى الحيوان والرفق به هو الهديُّ التام؛ فقد جاء الإسلام بالوسطية في الأمور كلها، فهو وسط بين الإفراط والتفريط؛ ولذلك لم يبالغ في معاملة الحيوان إلى درجة يرقى فيها إلى درجة الإنسان، بل أمر بإعطائه حقه والإحسان إليه بما يناسبه.

فإن تبجح الاخرون اليوم بإشادتهم بالرفق بالحيوان، حتى رأينا عندهم من بالغ في معاملة الحيوان لدرجة أنه يوصي بأمواله إلى كلب أو قط أو نحو ذلك، فيُحرِم أقرب الناس إليه من ماله، ويجعل ذلك إلى الحيوانات مبالغة وغلوًّا؛ ورأينا أطعمة خاصة بالحيوانات بعضها أغلى مما يتناوله الإنسان؛ بل رأينا فنادق للكلاب والقطط، فأي سفه انتهى إليه ادعياء حقوق الحيوان، وهم يبالغون في الاحسان الى الحيوان وغيره بيد ويطعنون بحرابهم سائر المخلوقات بيد أخرى، وتسيرهم في كل ذلك مصالحهم وأهواءهم الشخصية والحزبية وربما القومية، ولكن يبقى الإسلام العظيم متزنا في تعاطيه مع الجميع بالعدل والإحسان، وقد نهانا عن الظلم والعدوان؛ فجاءت شريعته صالحة لكل زمان ومكان، لأنها تعطي كل ذي حق حقه من غير إفراط ولا تفريط.

(٧٠) الحج والعمرة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري ص٣٩.

والعجيب أن الذين يتشدقون اليوم بحقوق الإنسان والرفق بالحيوان هم أكبر منتهك لحقوق الإنسان، وأعظم ظالم في التعامل مع الحيوان؛ فقد انتكست فطرة بعضهم فأصبحوا يخدمون الكلاب والقطط ويكرمونها؛ ولا يقيمون وزنا للإنسان الذي شرفه الله تعالى وفضله على كثير من مخلوقاته، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٧١] حتى قال الشاعر :

قتل امرئٍ في غابةٍ * جريمةٌ لا تُغتَفر**
وقتل شعبٍ آمنٍ * مسألةٌ فيها نظر**

لعل الحضارة الغربية التي تتبجح بتأسيسها جمعيات الرفق بالحيوان وإنفاقها الكثير في توفير الخدمات الصحية للحيوان وحمايته وتحسين أحواله المعيشية لكنها :

أولا : هل تملك مثلما يملكه المسلمون من هذا الرصيد الروحي الذي يضرب في عمق التأريخ ، فيما تستند إليه في طروحاتها المعاصرة ؟!

وثانيا : هل تستطيع أن تفتح للإنسان أفق السماء، وتعده بالعفو والمغفرة الإلهية والنعيم الأبدي بغير الرجوع إلى الاسلام؟!

وثالثا : أليس الأجدر بدعاة الرفق بالحيوان الاعتزاز بمن دعا إلى قيم السماء وما زال، والانتساب إليه في المبدأ والطرح، والاخذ عنه بما نحن بصدده وبما هو أهم من ذلك فيما يعود نفعه للإنسان؟!

(٧١) الإسراء : ٧٠.

ورابعا : وأخيرا، هل يخفى على الضمير الحي هذا التناقض البشع المريع بين ما يدعونه وينفقونه في خدمة الحيوان عامة، والكلاب خاصة، وبين واقعهم الوحشي الذي قام وتنامى على دماء الشعوب البريئة وطاقاتها؟

إن اللبنة الأولى التي أنشأت عليها الحضارة الغربية المعاصرة كانت تجارة الرقيق! العمل الوحشي المشين! الذي ما كان يجري - مع بشاعته - إلا بأبشع الأساليب وأكثرها همجية وعدوانا، إذ يباغتون أبناء القرى الضعيفة في إفريقيا، فيقتطعون منهم من شاءوا من الشباب والنساء، غير مبالين بأطفال يفصلون بهذه الطريقة عن أمهاتهم، ولا بالأمهات يسقن قسرا تحت وقع السياط بعيدا عن أطفالهن وأزواجهن وبيوتهن! لقد عرفت هذه الحضارة لكلاب أوربا من الحقوق ما لا تعرفه لجميع شعوب العالم! ولم تنته سياسة امتهان الشعوب وسحق الأطفال والنساء في عالم يدعي مناصرة الطفل والمرأة ويعلن حروبا تحت هذا الستار، لم تنته هذه السياسة بانتهاء زمن تجارة الرقيق، بل هي السياسة القائمة اليوم في ظل ما يسمى بـ (النظام الأمني الجديد)! إنه التناقض المفضوح، ولكنه تناقض الأقوياء الذين يغلفون سوءاتهم بما يمتلكون من قوة وبطش وقدرة على إلجام الضعفاء[٧٢].

(٧٢) الرفق في المنظور الإسلامي - مركز الرسالة - ص ٤٦ - ٤٧.

مكتسبات حقوق الحيوان وانعكاسها على العلاقات الاجتماعية

الدين الإسلامي هو في الأصل دين الرحمة والإنسانية والرقي، حيث أنه مفهوم الرحمة والإنسانية به ليس مقتصراً على بني البشر فقط دون غيرهم بل هو ممتد ومتسع ليشمل كل المخلوقات والكائنات الحية الأخرى سواء كانت طيور أو حشرات أو حيوانات بأنواعها، فالدين الإسلامي قد أمر الإنسان المسلم بأن يكون شديد الرحمة بالحيوانات، بل أنه قد أوجد لها الكثير من الحقوق على كاهلنا كبشر حتى وصل الأمر إلى أنها من الممكن أن تكون سبباً مباشراً في دخولنا الجنة ونيل رضوان الله عز وجل في حالة أن قمنا برعايتها والشفقة عليها والقيام بإطعامها والإحسان إليها، أو دخولنا النار ونيل السخط والغضب من المولى عز وجل في حالة إذا أسأنا إليها عن طريق منع الطعام أو الشراب عنها أو تعذيبها بأي شكل كان، وقد كان حرص الدين الإسلامي واضحاً وجلياً للغاية في ذلك الأمر لدرجة أنه وضع القواعد والضوابط لكيفية التعامل مع الحيوانات لتكون تلك الضوابط واللوائح هي خطنا الأحمر الذي لا نتعداه، وفي ذلك لأكبر دليل على رقي وإنسانية الدين الإسلامي الحنيف في نظرته حتى للحيوانات على أنها مخلوقات لها أهميتها وأيضاً لها حقوقها ودورها الفاعل في الحياة.

ومن أهم الحقوق التي ينبغي توفرها للحيوانات ما يلي :

أولاً : – حق الحيوان في الرعاية السليمة والإحسان إليه عن طريق تهيئة مكان مناسب والقيام بتوفير الطعام والشراب ومعاملته بالرحمة والشفقة.

ثانياً : - حق الحيوان حتى في حالة ذبحه فقد أكد الدين الإسلامي على أن لا يرى الحيوان السكين التي سيذبح بها، وأن يكون الذابح شديد الحرص على حسن عملية الذبح ويراعي بها عدم تعذيب الحيوان، قال رسول الله (ﷺ) (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإن ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) وفي الحديث الشريف خير دليل على وجود حقوق في رقبة الشخص المسلم تجاه الحيوان.

ثالثاً : - تحريم الدين الإسلامي لدماء الحيوانات أو أن يتم قتلها لمجرد أذيتها حيث كفل الدين الإسلامي الحماية الكاملة للحيوانات، و منع منعا باتاً تعذيبها بأي شكل من أشكال التعذيب المختلفة مثل التسلية أو مصارعة الديكة أو حبسها أو تركها دون طعام أو ماء.

رابعاً : - من حق الحيوان على الشخص المسلم أن يقوم ويسارع بدفع أي ظلم واقع على هذا الحيوان كنهي أي شخص يقوم بتحميل الحيوان أي حمولات زائدة عن قدرته ومنعه من ذلك.

خامساً : - حق الحيوان في وقايته من الإصابة بالأمراض، وذلك من خلال توفير الرعاية الصحية والطبية اللازمة له، وفي حالة إذا أصيب حيوان بمرض فإنه يتوجب على الفور عزله عن بقية الحيوانات الأخرى حتى لا ينتشر المرض من المصاب إلى السليم منها.

سادساً : - من حقوق الحيوانات في الإسلام توفير بيئة سليمة ونظيفة لها لكي تسكنها، وترتيب المكان الآمن الصالح لحياتها.

سابعاً : - حق الحيوان في عدم تغيير خلقته أو وسمها في وجهها أو العمل على إحداث أي تشوية لصورتها أو إيذاؤها بأي شكل مثل قطع ذيلها أو كيها بالنار فقد جاء قول رسول الله (ﷺ) (لعن من ضرب أو وسم في وجه الحيوان).

ثامناً : - من حق الحيوانات في الدين الإسلامي عدم القيام بإجراء التجارب العلمية الغير مضمونة والمضرة عليها والتي قد تتسبب في إحداث الأذى لها مثل عمليات الاستنساخ أو العمل على تهجينها مع حيوانات أخرى مختلفة عنها من الأساس أي ليست من نفس النوع، ولذلك فقد جاء تحريم العلماء المسلمين لعمليات الاستنساخ الأخيرة التي قامت بها بعضاً من الدوائر العلمية في أوروبا للحيوانات، واعتبرتها تغيير لخلق الله، وتغيير لسننه في كونه.

تاسعاً : - حرمة دم الحيوان، فدم الحيوان مُصان إلا ما أحل الله ذبحه لأكله - وما أحل الله قتله لأذيته، هنا اجاز الاسلام قتل بعض الحيوانات بشرط الإيذاء، فإذا انتفى الإيذاء فلا يجوز قتلها كتلك التي تعيش في الغابات أو بعيداً عن السكن والإقامة، أيضاً لا يجوز قتل الكلاب السائبة الغير مؤذية، بل الأصل الإحسان إليها، وعلى الدولة إبعادها عن المدن إلى الأماكن المناسبة لعَيشها.

توصيات بشأن تعزيز دور حقوق الحيوان

خلق الله تعالى الحيوانات وجعل بينها الكثير من الاختلافات لتأدية دورها في الطبيعة، ولكن أدّت نشاطات الإنسان المباشرة وغير المباشرة إلى موت أعدادٍ ليست بالقليلة من هذه الحيوانات، فبعض الأنواع قد انقرض فعلاً، وبعضها مهددٌ بالانقراض إذا لم يسارِع الإنسان إلى حمايتها والتقليل من الأخطار الواقعة عليها، حيث يُقدِّر العلماء أنَّ المعدل الحالي لانقراض الحيوانات قد تضاعف أكثر من ألف مرةٍ عن المعدل المعتاد.

تكمن أهمية حماية الحيوانات في اهتمام الديانات السماوية جميعها بالحيوانات ودعت إلى الرفق بها وعدم تعذيبها، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (مَن قتَل عصفورًا عبَثًا عجَّ إلى اللهِ يومَ القيامةِ يقولُ : يا ربِّ إنَّ فلانًا قتَلني عبَثًا ولم يقتُلْني منفعةً) (٧٣).

تنبع أهمية الحيوانات إلى أنّها عنصرٌ أساسيٌّ من دائرة النظام البيئي في الحياة على كوكب الأرض إلى جانب الإنسان والنبات، وأي خللٍ يصيب أي عنصرٍ من هذه الدائرة سيؤثر بطريقةٍ سلبيةٍ على العناصر الأخرى، حيث تخلّص بعض هذه الحيوانات البيئة من السموم والملوثات وبقايا الكائنات الحية التي لو تراكمت لأدّت إلى الكثير من الأضرار، لذلك فحماية هذه الحيوانات يساهِم في حماية التوازن في الطبيعة.

كما أنّ الإنسان يعتمد بشكلٍ أساسي على أصنافٍ من الحيوانات كغذاءٍ أساسي وسدّ حاجة الجوع، مثل :

(٧٣) نيل الاوطار للشوكاني ج٨ ص٢٩٥.

اللحوم الحمراء، والبيضاء، ومنتجات الألبان، حيث تُسهم الثروة الحيوانية في توفير الأمن الغذائي للفرد والدولة، أو من خلال الانتفاع بجلودها، وصوفها، وريشها في صناعة الملابس والحقائب والأحذية.

كما كان يعتمد الإنسان على الدواب للتنقّل من مكانٍ لآخر ولا زال البعض يعتمد عليها في التنقل ونقل البضائع وقضاء الحاجات المختلفة ولا سيما في الجبال والطرق الوعرة والمناطق النائية، كما أنّه يستخدم دهون بعضها في الطبابة والأكل، حيث ان رعايتها بالطرق العلمية الصحيحة يؤدي الى ازدهار الإنتاج في القطاع الزراعي والاقتصادي، وهو يؤثر في زيادة الدخل القومي وبالتالي زيادة دخل الأفراد.

وطرق حماية الحيوانات حيث تتعرّض الكثير منها إلى الاستغلال غير المسؤول ممّا يؤدي إلى انقراضها أو تقليل أعدادها، وبالتالي الإخلال بتوازن النظام البيئي، لأنّ الله تعالى خلق كلّ كائن حي لتحقيق مهامٍ معينة في نظام الحياة على الأرض، ومن طرق حماية الحيوانات :

١ـ إنشاء المحميات الطبيعيّة التي توفّر البيئة المناسبة لتكاثر بعض الأنواع وحمايتها من الصيادين والمستغلين.

٢ـ حماية مواطن ومساكن الحيوانات من الاعتداء عليها بسبب الزحف العمراني وقطع الغابات وتدميرها.

٣ـ تنمية الوعي بين الناس بأهمية الحيوانات وضرورة المحافظة عليها.

٤ـ عمل النشرات التوعوية والمحاضرات التي تعلّم المواطنين كيفية حماية الحيوانات.

٥ـ فرض العقوبات الصارمة على الذين يخرقون قواعد المحافظة على الثروة الحيوانية مثل الصيادين الذين يصطادون الحيوانات النادرة للحصول على جلودها.

٦ـ يجب على كل دولة في العالم العمل على توعية سكانها في كيفية التعامل مع الحيوانات، كما تقع عليها

مسؤولية توفير المرافق اللازمة والخاصة للحيوانات التي تربى في المزارع ومراقبة هذه المزارع بشكل دوري، والتأكد من أنها تعمل بشكل جيد وتطبق القوانين الخاصة بالحيوان.

٧ـ على الدولة أيضا أن تضع بعض القوانين والتشريعات الخاصة في الرفق بالحيوان في دستورها الوطني الخاص بها، ليكون شعبها على دراية بمن يخالف نص القانون ستقع عليه المحاكمة والعقوبة، ويجب على الدولة أن تدرج مساقاً دراسياً بعنوان الرفق بالحيوان، وذلك لتعليم وتربية الأطفال منذ الصغر.

الخاتمة

ربما تتساءلون لماذا التحدث عن حقوق الحيوان في عصر ضاعت فيه (حقوق الإنسان)؟!! ولكن لا بأس من ذكر حقوق الحيوان تذكيراً للبعض بتعاليم ديننا الذي ينظم كل أمور الحياة، لنبذ الأنانية ولنعلم أن الكون لم يُخلق لنا وحدنا بل هناك كائنات تشاركنا فيه ولها الحق في سكنى الأرض والتنقل فيها والتمتع بخيراتها من ماء ومرعى، ولا يجوز التضييق على الحيوانات وحرمانها من نعم الله في أرضه.

هل تعلمون أن الحضارة الإسلامية أول حضارة بشرية تُقِر مبدأ حقوق الحيوان وتُلزِم الناس به؟ ونحن لا نقول ذلك من باب التجميل بل من باب إظهار الحقيقة، أرأيتم كيف أعطى الإسلام للحيوان حقوقه كافة بما يحقق المصلحة للحيوان والإنسان، بدون إفراط أو تفريط؟!

وكيف كان أسلافنا العظام يعتنون بالحيوانات ويحفظون لها جميلها ويجازونها به؟! حري بنا ان نقتفي الأثر بالاعتناء بالحيوانات لنضفي على الحياة بهجة وحيوية وعطاء، وكم هو جميل الاحسان لمن احسن اليك ووهب لك حياته ومهجته في نهاية المطاف، والانسان المؤمن هو ذلك الذي يقابل الاحسان بالإحسان، بل المؤمن النموذجي هو الذي يقابل الاحسان بالإيثار، نحن بحاجة الى قلوب عامرة بالعطف والرقة حيال تلك المخلوقات التي سخرها الله تعالى لخدمتنا، لنكون ممن ساهم في تكاملية العلاقة بين الانسان والمخلوقات لتكوين بيئة تستوعب جميع مقومات نجاحها دونما اقصاء لجهة على حساب جهات أخرى، وهذه النمطية في التعامل لا يتبناها الا من تعالى على الأنانيات والمصالح الضيقة وأضحى كالشمعة تحترق لتنير الدرب له ولمن حوله من الموجودات الكونية.

وكما أثبتنا لم تقتصر توجيهات الإسلام على حفظ حقوق الحيوان المادية، بل شملت الحفاظ على مشاعره، وهذا يظهر جلياً في تحريم لعن الدواب، وتحريم ذبح الحيوان أمام الآخر، اذكروا لي دينا ورد فيه كل هذا التفصيل لحقوق الحيوان غير الدين الاسلامي الحنيف الذي لو طبقت أفكاره بشأن الحقوق لسعدت المخلوقات جميعا من ضمنها الانسان؟!.

المصادر

القران الكريم

بحار الأنوار للعلامة المجلسي

قاموس المعجم الوسيط

النهاية لابن الأثير

الكافي للكليني

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق

مستدرك الوسائل للمحدث النوري

ثواب الأعمال للشيخ الصدوق

جواهر الكلام للشيخ الجواهري

الثقافة الروحية / محمود علي قراعة

الصحيح من سيرة النبي الأعظم / السيد جعفر مرتضى

حقوق الحيوان في الاسلام / السيد جعفر مرتضى / المركز الاسلامي للدراسات

الارشاد للشيخ المفيد

رسائل ومقالات للشيخ جعفر السبحاني

الرفق في المنظور الاسلامي / مركز الرسالة

الحدائق الناظرة للمحقق البحراني

المبسوط للشيخ الطوسي

حواريات فقهية للسيد محمد سعيد الحكيم

منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني

من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي

الحج والعمرة في الكتاب والسنة للري شهري

العتبة العباسية المقدسة

قسم الإعلام

مركز الكفيل الدولي للثقافة والاعلام

islamwhy.com موقع (الإسلام.. لماذا؟)ـ

التواصل الاجتماعي

https://t.me/iwi slamwhy

https://twitter.com/iwislamwhy

https://web.facebook.com/iwislamwhy/

https://www.instagram.com/iwislamwhy/